لم تكن المهمة التي واجهت الشيخ زايد منذ أول يوم من توليه الحكم في السادس من شهر آب / أغسطس 1966 مهمة يسيرة بأي حال من الأحوال، إذ كان عليه أن يبني مجتمعاً جديداً. ورغم الحماس والتأييد البالغين اللذين عبر عنهما كل أهالي أبوظبي التوليه الحكم فقد كانت فرحة الحاكم بترحيب شعبه ممزوجة بمشاعر القلق من ثقل المسؤولية الملقاة على عاتقه، وذلك لأنه تولى مسؤولية الحكم بعد مرحلة مضطربة تمكن الشيخ شخبوط خلالها من بسط السلم والأمن لفترة تقارب الأربعين عاماً. أما الشيخ زايد فكان متوقعاً منه أكثر من ذلك بكثير، وكانت أولوياته الرئيسية هي تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية في إمارة أبوظبي، وتوثيق الصلات مع الإمارات المجاورة له. ونستشف هذا من العبارة التي قالها الشيخ زايد لزائر بريطاني يدعى جون دانيلز John Daniels : أريد أن أحقق التنمية التي تحتاج إلى خمسة أعوام خلال عام واحد لا أكثر» . 2 غير أنه بعد توليه السلطة حاكماً جديداً لأبوظبي واجه ا الشيخ زايد ضغوطاً سياسية من الأطراف ذات المصالح، لم يواجه مثلها من قبل عندما كان ممثلاً للحاكم في العين . كانت الخطط التنموية التي وضعت خلال عامي 1965 ـ 1966 تحت حكم الشيخ شخبوط سليمة، إذ إنها شملت كل الأمور الرئيسية؛ من طرق ومحطات توليد كهرباء ومستشفيات وغيرها من المشروعات الأساسية اللازمة للبنية التحتية، غير أنها لم تنفذ كما ينبغي بسبب عدم التزام السلطة العليا في الإمارة بتنفيذها. وبتولي الشيخ زايد الحكم في أبوظبي تغير الموقف تماماً، وبدأ العمل في تنفيذ المشروعات يجري بكل حماسة واهتمام بالتفاصيل الدقيقة. وطوال الأعوام السابقة كان الشيخ زايد يبذل كل ما في وسعه للدعوة إلى تنفيذ المشروعات التنموية ضمن ميزانية ملائمة وخطة معدة بدقة تحت إشراف وزاري مباشر. ويتوليه الحكم في أبوظبي فقد أتيحت له الفرصة أخيراً لتنفيذ تلك الرؤية فعلياً على النحو الذي يحقق طموحاته وطموحات شعبه فيما يتعلق بتنمية أبوظبي وتطويرها . 3 ونتيجة لهذه التطورات السريعة فقد أضحى حتماً على المسؤولين البريطانيين أن يعيدوا تقويم مواقفهم، ففي حين كانوا يشتكون في الماضي قلة المشروعات التنموية، فإنهم صاروا الآن قلقين من زيادتها خوفاً من المشكلات التي قد تترتب على إدارة التغيير. وما لبثت الحكومة البريطانية أن أدركت أنها تتعامل مع حاكم ذي عزيمة صلبة وهدف محدد، وقادر على توجيه دفة الحكم في إمارة أبوظبي . وفي هذا الصدد كتب المعتمد السياسي البريطاني في أبوظبي إيه . لام معلقاً على السياسة البريطانية نحو أبوظبي وحاكمها الجديد قائلاً : عند النظر في سياستنا تجاه الشيخ زايد أعتقد أن علينا أن نتذكر دائماً عدة عوامل ، وأخشى أن ينتهي الأمر إلى خلافات نحن في غنى عنها إذا ما تجاهلنا هذه العوامل، أولاً، أن الشيخ زايد هو ابن الحاضر، لا كما كان من قبل، ثانياً، يجب أن نبتعد عن اعتبار أبوظبي مجرد إمارة من إمارات الساحل المتصالحة، مقارنة على سبيل المثال بأم القيوين . ويجب أن نقبل حقيقة أن أبوظبي مشيخة (إمارة) مستقلة، ذات مساحة وثروة تفوقان مساحة وثروة الإمارات الست الأخرى مجتمعة . ثالثاً : إن لدى الشيخ زايد استعداداً لقبول آرائنا وتعاوننا معه بشأن تطوير إمارته. وأعتقد أن علينا أن نمد إليه يد التعاون لثلاثة أسباب هي : أن ذلك يصب في مصلحتنا المالية والتجارية، وأن تحقيق التنمية الناجحة والمتسارعة والمخطط لها بدقة ضمن برنامج زمني محدد في أبوظبي يصب في مصلحتنا السياسية على المدى القصير، كما أن تطور أبوظبي إلى الحد الذي يضمن لها المكانة اللائقة، ولا يجعلها مجرد إمارة من الدرجة الثانية وسط مجتمعها الأوسع في الجزيرة العربية، سوف يكون المصلحتنا السياسية على المدى البعيد، عندما يحين الوقت الذي تتخلى فيه حكومة صاحبة الجلالة عن مكانتها الخاصة في منطقة الخليج العربي . وهكذا فإن لهجة التحليل السياسي وطبيعته أضحنا مختلفتين تماماً عما درجت عليه السلطات البريطانية في الماضي، فقد تصاعدت توقعات الحكومة البريطانية بشأن اضطلاع أبوظبي تحت حكم الشيخ زايد بدور الزعامة بين الإمارات، وهو ما وصفه لام في معرض تعليقه السابق بـ " مكانتها اللائقة . أما "تحديث العلاقة الذي أشار إليه لام أيضاً فهو الصيغة التي تمكن البريطانيين من معالجة القضايا المهمة والمعقدة، وليس مجرد الانشغال بالقضايا الهامشية والثانوية التي هيمنت على المناقشات السابقة. وكان المقيم السياسي لام من أبرز المسؤولين البريطانيين الذين تربطهم علاقة طيبة مع الشيخ زايد، وكان أكثرهم تفهماً لعمق الرؤية السياسية للشيخ زايد وحرصه الشديد على التطوير، كما أدرك لام قدرة الحاكم الجديد لأبوظبي على أن يكون زعيماً للمنطقة برمتها منذ الأيام الأولى لتوليه الحكم. وخاصة في وزارة الخارجية في لندن، من القول بأن تحمس الحاكم الجديد لعملية الإصلاح مدعوماً بعوائد النفط ، والتي سبقت الإمارات المجاورة، قد تضع عقبات في طريق تحقيق التعاون بين أبوظبي وإمارات الساحل المتصالحة الأخرى وتجعله أمراً صعباً . " لقد اعترض البريطانيون على برنامج الشيخ زايد القائم على تحقيق التطور السريع، وظلوا قلقين بشأن مشكلات إدارة ذلك البرنامج وتكلفته.

lakhasly.com © تم تلخيص النص بواسطة موقع لخصلي